بسم الله الرحمن الرحيم

عدالة الصحابة بين النقل والعقل

بحث مقدم إلى مؤتمر

"فضائل الصحابة وآل البيت"

المنعقد بجمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب

في الفترة: 7-2010/7/8م

إعداد:

الأستاذ/ رائد طلال عبد القادر شعت

مدرس بكلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة

1431هـ - 2010م

ملخص البحث:

تناول هذا البحث إثبات عدالة الصحابة الكرام في الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحدث فيه الباحث عن تعريف مصطلحي: (العدالة)، و(الصحابة)، من حيث اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: تحدث فيه الباحث عن عدالة الصحابة الكرام في القرآن الكريم، وذلك بذكر بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث الصحيحة الثابتة في هذا الباب الدالة على عدالتهم، مع الرجوع إلى أقوال العلماء والمفسرين في هذه الآيات والأحاديث بما يخدم الموضوع.

المبحث الثالث: تناول فيه الباحث بعض شبهات الأعداء حول عدالة الصحابة، ثم تفنيدها ثم الرد عليها، بالأدلة النقلية والعقلية التي تثبت عدالة الصحابة الكرام، وتبين أن عدالتهم تنسجم مع الفطرة السليمة والعقل السوي.

ABSTRACT

"Justice companions between conveyance and reason"

This paper deals with justice to prove his noble Companions in the book and the Sunnah and the consensus of scholars, has included three sections:

The first topic: the researcher, speaking from the definition of terms: "Justice" and "companions", in terms of language and terminology.

The second topic: the researcher, speaking of the justice of his noble Companions in the Koran, and mention some Koranic verses, and some hard conversations right in this section function on their good character and refer to the scholars and commentators in these verses and hadiths to serve the subject.

The third topic: the researcher dealt with some suspicions about the fairness of the enemy companions, and then refute them and respond to evidence of leukemia, and mental justice to prove his noble Companions, and show good character that are consistent with common sense and of sound mind.

المقدمة:

الحمد لله الذي سخَّر لعلم الدين في سماء التحقيق: شموساً وقموراً وبدوراً، وجعل علماء الشريعة الغرَّاء أكثرَ الناس في الدارين: كرامة وحبوراً وسروراً، واختارهم لحفظ معالم الإسلام، وجعلهم نجوماً يُهتدى بها في ظلمات الجهل براً وبحوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً شهدها أولو العلم مع شهادته وشهادة الملائكة الأبرار.

وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، بلَّغ دعوته للعباد وانتشرت تعاليم رسالته في كل المهاد، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم بقدم الحياة على ظهر الأرض، فمنذ نشأة الخليقة بأبينا آدم عليه السلام والصراع قائم بين الحق والباطل وإلى يومنا هذا بل وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

والإسلام العظيم منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره، لا زال إلى يومنا هذا يتعرض لحملات كبيرة من التشويه والتضليل على كل الجبهات وفي كل الميادين، ومن أخطر هذه الحملات، حملة الطعن في رموز هذه الأمة وهم الصحابة الكرام، فإن الطعن فيهم ليس كالطعن في غيرهم من العلماء والدعاة والمجاهدين، ذلك أن الصحابة الكرام هم حملة الوحيين الكتاب والسنة، فقد نقلوا لنا كل ما سمعوه من النبي ﷺ سواء أكان من القرآن الكريم أم الحديث الشريف.

فالطعن فيهم طعن في مصداقية الكتاب والسنة، وبالجملة طعن في هذا الإسلام. الغرض منه تشويه حقيقة الإسلام، والصَّدِّ عنه.

لهذا فإن الحديث عن الصحابة الكرام، يتطلب: صفاءً في العقيدة، وإخلاصاً في النية، وقوة في العلم، ودقة في الفهم، وأمانة في النقل، ونظرة فاحصة في أراجيف الوضاعين، وشبهات الطاعنين المغرضين.

وبفضل الله تعالى وتوفيقه خضت في غمار هذا الموضوع؛ لأبين عدالة أولئك الرجال، الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه في كل الميادين. ولأرد على بعض الشبهات التي أثيرت حول عدالتهم.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان: " عدالة الصحابة بين النقل والعقل"، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عدالة الصحابة الكرام.

المبحث الثاني: ثبوت عدالة الصحابة من القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة.

المبحث الثالث: شبهات حول عدالة الصحابة الكرام، ثم الرد عليها.

المبحث الأول: تعريف عدالة الصحابة.

المطلب الأول: تعريف العدالة.

العدالة لغة: العدل القصد في الأمور، وهو ضد الجور، يقال: عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومَعْدِلَتَه، وفلان من أهل المَعْدَلة، أي: من أهل العدل، والعدلُ من الناس: المرضيُّ قولُه وحُكمه.

والعدالة: وصف بالمصدر معناه: ذو عدل، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم﴾ (سورة الطلاق/2)، وقال تعالى: ﴿يحكمُ به ذَوا عَدْلٍ مِنْكُم﴾ (سورة المائدة/95)، وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أى: قومته فاستقام[1].

وعليه فإن العدالة في اللغة: الاستقامة، والعدل: هو الوسط، وأصل هذا: أن أحمد الأشياء أوسطها، فالعدل: هو المتوسط في الأمور من غير زيادة أو نقصان[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (سورة البقرة/143).

العدالة اصطلاحاً: تنوعت فيها عبارات العلماء، إلاَّ أنها ترجع إلى معنى واحد، وهو أنها: ملكة -صفة راسخة في النفس- تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة.

وضابط التقوى: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً وباطناً.

وضابط المروءة: آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، وترجع معرفتها إلى العرف.

ولا تتحقق العدالة في الراوي إلاَّ إذا اتَّصف: بالإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من أسباب الفسق، وخوارم المروءة[3].

---

(١) انظر: لسان العرب ابن منظور 113/6، دار الحديث بالقاهرة، ط 1423هـ_2003م، ومختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي ص232، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1421هـ_2000م. والمصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي المقريء ص236، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1421هـ_2000م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي 53/2. (هذه الطبعة في مكتبتي بدون بيانات).

(٣) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي 300/1، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة. وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوى 315/3 – 317. تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمود ربيع، مكتبة السنة بالقاهرة، ط الثانية 1408هـ- 1988م.

وليس المقصود من العدل أن يكون بريئاً من الذنوب، وإنما المراد: أن يغلب عليه التدين، والتحري في فعل الطاعات وترك المنهيات.

المطلب الثاني: تعريف الصحابة.

الصحابة لغة: يقال: صحب أي: دعاه إلى الصحبة ولازمه، وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه(٤).

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القول: (صحابي) مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً أكان أم كثيراً، يقال: صحبت فلاناً حولاً، ودهراً، وسنةً، وشهراً، ويوماً، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيرة.

وذلك يوجب في حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ أيَّ قدر من الوقت(٥).

وقال الإمام ابن تيمية: "والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها"(٦)، وعلى هذا التعريف اللغوي جرى أصحاب الحديث في تعريفهم بالصحابي اصطلاحاً: فذهبوا إلى إطلاق (الصحابي) على كل من صحب النبي ﷺ، ولو ساعة واحدة فما فوقها.

الصحابة اصطلاحاً: لقد اختلف العلماء في تعريف الصحابي من حيث الاصطلاح اختلافاً بيناً، وتعددت آراؤهم.

لكن التعريف الراجح والذي عليه أكثر العلماء، هو ما قرره الحافظ بن حجر بقوله: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: "هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ثم مات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح".

---

(٤) لسان العرب 278/5، والقاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي 91/1، المطبعة الأميرية، ط الثالثة 1301هـ، تصوير الهيئة المصرية العامة للكتاب 1397هـ-1977م. والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري 162/1، تحقيق: أحمد العطار، مصر، ط الثانية 1402هـ – 1982م، والمصباح المنير ص200.

(٥) انظر: الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي، الشهير بالخطيب البغدادي ص 100، تحقيق: محمد الحافظ التيجاني، وعبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، دار ابن تيمية. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير 119/1_ 120، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ_ 1994م.

(٦) الصارم المسلول، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ص575، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية- بيروت.

ثم شرح التعريف فقال: "فيدخل فيمن لقيه"، من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى".

ومن هنا كان التعبير باللَّقِيِّ، أولى من قول بعضهم: "الصحابي من رأى النبي ﷺ"، لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد.

ويخرج "بقيد الإيمان"، من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: "به"، يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه مؤمناً من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

ويدخل فى قولنا: "مؤمناً به"، كل مكلف من الجن والإنس، و...

وخرج بقولنا: "ومات على الإسلام"، من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله، كعبيد الله بن جحش، وابن خطل، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء ألجمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، كالأشعث بن قيس فإنه كان ممن ارتد ثم أسلم في حياة رسول الله ﷺ، لكنه لم يلقه. وأتى به إلى أبى بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام فقبل منه، وزوجه أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها[٧].

وذلك ما ذهب إليه الجمهور، ومنهم: ابن حزم[٨]، وابن كثير[٩]، والشوكاني[١٠]، والسيوطي[١١]، وغيرهم.

(٧) انظر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني ص51_52، تحقيق: إسحاق عزوز، مكتبة منارة العلماء بالقاهرة، 1409هـ-1989م. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني 10/1 - 12، دار السعادة بمصر 1328هـ.

(٨) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري 86/5، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ – 1985م.

(٩) انظر: اختصار علوم الحديث، أبوالفداء ابن كثير الدمشقي ص120، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1409هـ_1989م.

(١٠) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق: الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني ص107، دار الكتب العلمية بيروت.

(١١) انظر: تدريب الراوي 209/2.

وقال الحافظ السخاوي مؤيداً رأى شيخه ابن حجر: "والعمل عليه عند المحدثين والأصوليين"[١٢].

وذلك هو الصحيح المعتمد، ووراء ذلك أقوال شاذة أخرى، كقول من قال: "لا يُعد صحابياً إلا من وُصف بأحد هذه الأوصاف: من طالت مجالسته، أو حُفظت روايته، أو ضُبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم، أو المجالسة ولو قصرت"[١٣].

وخلاصة ما سبق من تعريف الصحابي: أن المنافقين الذين كشف الله ورسوله سترهم وفضحهم، وعرف المسلمون حقيقة أمرهم، والمرتدين الذين ارتدوا في حياة النبي ﷺ أو بعدها، ولم يتوبوا ويعودوا إلى الإسلام، ثم ماتوا على ردتهم، هم بمعزل عن شرف الصحبـة.

ثم إن الصحبة تثبت بأمور متعددة، أهمها:

١ ـ التواتر كأبي بكر الصديق وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم.
٢ ـ أو باشتهار قاصر عن التواتر، وهو الاستفاضة، كعكَّاشة بن محصن.
٣ ـ أو بقول صحابي آخر معلوم الصحبة، إما بتصريح بها، كأن يجئ عنه أن فلاناً له صحبة، وإما بغير تصريح، كقوله: كنت أنا وفلان عند النبي ﷺ، أو دخلنا على النبي ﷺ.
٤ ـ وكذا تعرف بقول آحاد ثقات التابعين، على الراجح من قبول التزكية من عدل واحد[١٤].

والمراد بعدالة الصحابة: أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ، لما اتصفوا به من صدق الإيمان وقوته، والتزام التقوى والمروءة ومحاسن الأخلاق، والترفع عن سفاسف الذنوب، وليس معنى ذلك أنهم معصومون من الوقوع في الذنوب أو السهو أو الغلط، فذلك ما لم يقل به أحد من علماء أهل السنة.

(١٢) انظر: فتح المغيث 3/ 85.

(١٣) انظر: اختصار علوم الحديث ص121، وتدريب الراوي 209/2، وإرشاد الفحول ص107.

(١٤) انظر: تدريب الراوى 213/2، وإرشاد الفحول ص108، وفتح المغيث للسخاوى87/3، والكفاية ص 98-101.

ومما ينبغي أن يُعلم: أن الذين قارفوا ذنباً ثم حُدُّوا وتابوا، حسنت توبتهم وكان ذلك الحدُّ كفارة لهم، وهم في نفس الوقت قلة نادرة جداً، لا ينبغي أن يغلب شأنهم وحالهم على حال الألوف المؤلفة من الصحابة الذين ثبتوا على الجادة والصراط المستقيم، وجانبوا المعاصي ما صغر منها وما كبر[١٥].

قال الآلوسي: " ونحن لا ندعي العصمة في الصحابة ﷺ، ولا نشترطها في الخلافة"[١٦].

قال ابن الأنباري: "وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، وإنما المراد: قبول روايتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إلا أن يثبت ارتكاب قادح، ولم يثبت ذلك ولله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح"[١٧].

المبحث الثاني: عدالة الصحابة في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة.

إن عدالة الصحابة الكرام جميعاً أمر مجمع عليه بين علماء أهل السنة، والمخالف لهذه القضية محجوج بالآيات المستفيضة الصريحة، والأحاديث المشهورة الصحيحة، والتي تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى قد رفع أقدارهم، فلا يحط من قدرهم إلا من كانت له خبيئة سوء.

وفيما يلي ذكر بعض الأدلة الثابتة والبراهين القاطعة على عدالتهم من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة.

المطلب الأول: عدالة الصحابة الكرام في القرآن الكريم.

لقد وصف رب العزة صحابة رسول الله ﷺ بالعدالة وأثنى عليهم في آيات عديدة من القرآن الكريم، منها:

(١٥) انظر: هامش تدريب الراوى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف 216/2.

(١٦) روح المعاني 155/3.

(١٧) انظر: إرشاد الفحول ص107.

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا في سَبيلِ الله بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ درجةً عنْدَ اللهِ وَأُولئك هُمُ الفَائزونَ، يُبَشِّرُهُمْ ربُّهُمْ برَحْمَةٍ مِنْه وَرضْوانٍ وَجَنَّاتٍ فيها نَعِيمٌ مُقيمٌ﴾ (سورة التوبة/20-21).

والآية واضحة الدلالة على بيان عظم منزلة الصحابة الكرام عند الله تعالى، فقد آمنوا بالله تعالى، وهاجروا إليه تاركين وراءهم ديارهم وأموالهم وأولادهم؛ يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ثم جاهدوا في سبيله، هذا استئناف لبيان مراتب فضلهم زيادة في الرد وتكميلاً له، وزيادة الهجرة وتفضيل نوعي الجهاد للإيذان بأن ذلك من لوازم الجهاد، لا أنه اعتبر بطريق التدارك أو لم يعتبر فيما سلف، والظاهر من السياق أن المفضل عليه أهل السقاية والعمارة من المشركين(١٨).

الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿والسَّابقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المهاجِرينَ والأنْصَارِ والَّذينَ اتَّبَعُوهمْ بإحْسَانٍ رضيَ اللهُ عنهمْ ورَضُوا عنه وأعدَّ لهمْ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ خَالدينَ فيها أبَداً ذلكَ الفَوْزُ العَظيمُ﴾ (سورة التوبة/100).

والدلالة في هذه الآية ظاهرة على عدالة الصحابة الكرام، إذ غفر الله تعالى لجميعهم وأوجب لمحسنهم ومسيئهم الجنة والرضوان(١٩)، وفيها تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين صلوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية، أو أهل بدر، ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها(٢٠).

قال ابن تيمية: "فرضي الله عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"(٢١).

الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿لقدْ رضيَ اللهُ عن المؤمنينَ إذْ يُبايعونكَ تحتَ الشَّجرةِ فَعَلِمَ ما في قُلوبهمْ فَأَنزلَ السَّكينةَ عليهمْ وأثابهمْ فَتْحاً قريباً﴾ (سورة الفتح/18).

(١٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي 100/6، دار الفكر بيروت.

(١٩) انظر: روح المعاني 11/7. وزاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي ص602، دار ابن حزم بيروت، ط الأولى 1423هـ_2002م. ص602.

(٢٠) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني 563/2، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء بالمنصورة، ط الثالثة 1426هـ_2005م.

(٢١) الصارم المسلول ص572.

فهذه الآية القرآنية الكريمة واضحة الدلالة على تزكية الله عز وجل لما في قلوب الصحابة وبواطنهم، فلا يقع الرضى من الله تعالى إلا على من حسنت سيرته وسريرته، وعلم أنه سيثبت على هذه التزكية حتى الممات.

قال ابن تيمية: "والرضا من الله تعالى صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا، ومن ﷻ لم يسخط عليه أبداً، فكل من أخبر الله أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة"(٢٢).

قال القاضي عبد الحق: "وهذا تشريف وإعلام برضاه عنهم حين البيعة، وبهذا سميت بيعة الرضوان"(٢٣).

وقال ابن حزم: "فمن أخبرنا الله أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة"(٢٤).

وقال النبي ﷺ: "لا يدْخلُ النَّارَ إنْ شاءَ اللهُ مِنْ أصْحابِ الشَّجَرةِ أحدٌ، الذينَ بايعوا تحتَها"(٢٥).

ثم إن كرامة الله تعالى للصحابة، أن شهد لهم بالرضوان في الدنيا وهم أحياء، أما عموم المؤمنين من أهل الجنة فلن يحصلوا على هذه الشهادة إلا في الجنة.

وقال النبي ﷺ: "إنَّ اللهَ تعالىَ يقولُ لأهلِ الجَنَّةِ: يأهلَ الجنةِ فيقولون: لبَّيْكَ ربَّنا وسَعْدَيك والخَيرُ في يديْك، فيقولُ: هل رَضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لَنا لا نَرْضىَ يا ربِّ وقدْ أعْطيتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِك، فيقولُ: ألاَ أُعْطِيكمْ أفضلَ مِنْ ذلك، فيقولونَ: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلك؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكمْ رضواني فلاَ أسْخَطُ عليكُمْ بعده أبداً"(٢٦).

---

(٢٢) الصارم المسلول ص572.

(٢٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبد الحق الأندلسي 133/5، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1422هـ_2001م.

(٢٤) الفصل في الملل والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري 148/4، ط الأولى، دار الفكر بيروت.

(٢٥) صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، من حديث جابر بن عبد الله عن أم مبشّر ﷺ 1942/4ح2496، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢٦) صحيح البخاري- كتاب التوحيد-باب كلام الرب مع أهل الجنة، من حديث أبي سعيد الخدري 479/3ح7518، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط الأولى 1423هـ_2003م.

الآية الرابعة: قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح/29).

الآية واضحة الدلالة في بيان منزلة الصحابة الكرام جميعاً، إذ وصفوا بالشدة والرحمة في آن واحد، لكنها شدة على أعداء الله تعالى ورحمة على أوليائه، وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس، فإنه لو اكتفى بالوصف الأول (الشدة)، فلربما تُوهم أن مفهوم القيد غير معتبر، فيُتوهم حينها الفظاظة والغلظة مطلقاً، فدفع ذلك بإرداف الوصف الثاني (الرحمة)، ومآل ذلك أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء رحماء على إخوانهم[٢٧].

قال ابن الجوزي: "وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"[٢٨].

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الإسلام، وترقيه في الزيادة إلى أن قويت واستحكم، لأن النبي ﷺ قام وحده ثم قوّاه الله تعالى بمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى ما يتحف بها مما يتولد منها، وظاهره أن الزرع هو النبي ﷺ والشطْأ الصحابة، فيكون مثل له وأصحابه لا لأصحابه فقط[٢٩].

الآية الخامسة: قال الله تعالى: ﴿لاَ يَسْتوي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولئك أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَىَ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحديد/10).

ذهب أكثر المفسرين وعلى رأسهم مجاهد وقتادة إلى أن المراد بالحسنى الجنة[٣٠].

والآية تدل على أن جميع الصحابة الكرام من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار؛ لأنهم المخاطبون بهذه الآية[٣١].

(٢٧) انظر: روح المعاني 186/14.

(٢٨) زاد المسير ص1325.

(٢٩) روح المعاني 193/14.

(٣٠) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري 128/27، دار المعرفة بيروت، ط الرابعة 1400هـ.

واستدل ابن حزم بهذه الآية على القطع والجزم بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾[٣٢].

الآية السادسة: قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئك هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر/8-9).

والدلالة في هاتين الآيتين واضحة، فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، والمهاجرون هنالك من هاجر إلى النبي ﷺ حباً فيه ونصرة له.

قال قتادة: "هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والأوطان حباً لله ولرسوله، حتى إن الرجل منهم كان يعصِب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحَفيرة في الشتاء ما له دِثار غيرها"[٣٣].

فهذه الصفات الحميدة فى هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب النبي ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم الله صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وتلك الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول.

ثم إن الله تعالى أمر بالاستغفار للصحابة بعد هاتين الآيتين مباشرة بقوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه معلقاً على هذه الآية: "لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فإن الله تعالى قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم سيقتتلون"[٣٤].

---

(٣١) انظر: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار 245/2.

(٣٢) الفصل في الملل والنحل 148/4.

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن 19/18.

(٣٤) فضائل الصحابة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ح187، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق: وصي الله ابن عباس، ط الأولى 1403هـ_1983م، والصارم المسلول ص574،

المطلب الثاني: عدالة الصحابة الكرام في السنة.

لقد ثبتت كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة، الدالة على عدالة الصحابة الكرام، وعلو كعبهم في الإسلام، منها:

الحديث الأول: قال رسولُ الله ﷺ: "يأتِي على النَّاس زَمانٌ فَيغْزُو فِئَامٌ[٣٥] مِنَ النَّاس فيقولون: فيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فَيَقُولونَ: نَعمْ، فَيُفتحُ لَهمْ، ثُمَّ يَأتي على النَّاس زَمانٌ فَيَغْزو فِئامٌ مِنَ النَّاس فَيُقالُ: هَلْ فِيكمْ مَن صَاحَبَ أَصْحَابَ رسول الله ﷺ؟ فَيَقُولونَ: نَعَمْ، فَيُفتحُ لَهمْ، ثُمَّ يَأتي على النَّاس زَمانٌ فَيَغْزو فِئامٌ مِنَ النَّاس فَيُقالُ: هَلْ فِيكمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رسول الله ﷺ؟ فَيَقولونَ: نَعَمْ، فَيُفتحُ لَهمْ"[٣٦].

والحديث فيه دلالة ظاهرة على فضل الصحابة الكرام والتابعين وأتباعهم، وبيان كون تلك القرون أفضل من غيرها وأعدل[٣٧].

الحديث الثاني: قال رسولُ الله ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتي قَرْني ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ" قال عِمْرانُ: "فَلاَ أَدْري أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنين أَوْ ثَلاَثًا "ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدونَ ولاَ يُسْتَشْهَدونَ ويَخُونُونَ ولاَ يُؤْتَمَنُونَ ويَنْذُرُونَ ولاَ يَفُونَ ويَظْهَرُ فِيهم السِّمَنُ"[٣٨].

والحديث دليل واضح على عدالة الصحابة الكرام، وبيان أن قرنهم أفضل القرون.

والسبب في ذلك، أنهم كانوا غرباء في إيمانهم؛ لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على آذاهم، وتمسكهم بدينهم.

وقوله: "ثم إن بعدكم قوماً": استدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة، وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وذلك محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن

(٣٥) الجماعة الكثيرة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات المبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير 1028/3، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى 1422هـ_2001م.

(٣٦) صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة-باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، من حديث أبي سعيد الخدْري2/204 ﷺ ح3649، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط الأولى 1423هـ_2003م.

(٣٧) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووي 302/8، دار الفجر للتراث القاهرة، ط الأولى 1420هـ_1999م.

(٣٨) صحيح البخاري-كتاب فضائل الصحابة- باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، من حديث عمران بن حصين ﷺ 2/204ح3650.

بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة، لكن بقلة بخلاف من بعد القرون الثلاثة، فإن ذلك كثر فيهم واشتهر"[٣٩].

الحديث الثالث: قال رسولُ الله ﷺ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولاَ نَصِيفَه"[٤٠].

نهى النبي ﷺ خالداً أن يسب أصحابه مع كونه من الصحابة أيضاً، ولكن لأن عبد الرحمن بن عوف من السابقين الأولين الذين صحبوا رسول الله ﷺ في وقت الشدة والعسرة يوم أن كان خالد يعادي الإسلام، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل[٤١].

نُهى بعضُ من أدرك النبيَّ ﷺ، وخاطبه بذلك عن سب من سبقه، يقتضي زجر من لم يدرك النبيَّ ﷺ، ولم يخاطبه عن سب من سبقه، من باب الأولى. وغفل من قال: "إن الخطاب بذلك لغير الصحابة"[٤٢].

الحديث الرابع: قال رسولُ الله ﷺ: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ"[٤٣].

ففي هذا الحديث أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستُثني، فلمَّا أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً[٤٤].

(٣٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 7/9_10، دار الريان للتراث القاهرة، ط الثانية 1407هـ_1987م.

(٤٠) صحيح البخاري-كتاب فضائل الصحابة-باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ 2/209ح3673.

(٤١) انظر: الصارم المسلول ص576.

(٤٢) فتح الباري 42/7.

(٤٣) صحيح البخاري-كتاب التوحيد- باب قول الله: "وجوه يومئذ ناضرة.." من حديث أبى بكرة ﷺ 3/462ح7447، وصحيح مسلم- كتاب القسامة- باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض 3/1306ح 1679، واللفظ لمسلم.

(٤٤) صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي 91/1، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط الثانية 1414هـ_1993م.

الحديث الخامس: قال رسولُ الله ﷺ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوْعَدُ، وأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ، وأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ"(٤٥).

والمراد: أن النجوم صمام أمان للسماء، فما دامت النجوم باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، والنبي صمام أمان لأصحابه من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك، والصحابة صمام أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك(٤٦).

والحديث واضح الدلالة على عدالة الصحابة الكرام، وإلا فكيف يأتمن النبيُّ ﷺ أصحابه بلا استثناء على الأمة وفيهم من ليس بعدل؟!.

الحديث السادس: قال رسولُ الله ﷺ: "احْفَظُونِّي فِي أَصْحَابِي، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ ومَا يُسْتَشْهَدُ، ويَحْلِفُ ومَا يُسْتَحْلَفُ"(٤٧)، وفي رواية: "استَوْصُوا بأَصْحَابِي خيراً"(٤٨)، وفي رواية: "أأحسنوا إلى أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيارُكُمْ"(٤٩).

والمعنى: راعوني في حقوق صحبتهم لي؛ فإن الصحبة لا تعدل بها فضيلة، وكذلك راعوني في الذين يلون الصحابة، الذين اتبعوهم بإحسان وهم الأتباع ثم أتباع أتباعهم.

(٤٥) صحيح مسلم-كتاب فضائل الصحابة-باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ 4/1961ح2531.

(٤٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي 298/8، تحقيق: محمد تامر، دار الفجر للتراث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_1999م.

(٤٧) سنن ابن ماجه-كتاب الأحكام- باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ 3/340 ح2363، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1419هـ_1998م. والحديث إسناده صحيح، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني 43/2ح1913، المكتب الإسلامي بيروت، ط الثالثة 1408هـ_1988م.

(٤٨) مسند أحمد 215/1ح114، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1416هـ_1995م، مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي 418/1ح720، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية 1407هـ_1996م. والحديث إسناده صحيح، صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند.

(٤٩) مسند أحمد 239/1ح176، والحديث إسناده صحيح، صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند.

وهذا الحديث من أكثر الأحاديث دلالة على عدالة الصحابة الكرام وأفضليتهم على غيرهم.

الحديث السابع: قال رسولُ الله ﷺ: " لاَ تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وصَحِبَنِي، واللهِ لاَ تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وصَاحَبَنِي"(٥٠).

والحديث فيه دلالة ظاهرة على فضيلة رؤية النبي ﷺ وشرف صحبته، وهي منزلة رفيعة لا يدركها من حُرمها، مهما قدَّم من الأعمال، وهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده، وقد أُوتيه الصحابةُ الكرام، إذ تحققت لهم رؤية النبي ﷺ ومصاحبته.

المطلب الثالث: أقوال علماء الأمة.

أجمعت الأمة إلاَّ من شذَّ ممن لا يُعتد بخلافهم(٥١)، على تعديل الله ﷻ ورسوله ﷺ للصحابة الكرام جميعاً، والنقول فى ذلك كثيرة عن علماء الأمة، من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين.

قال ابن عباس والثوري والسُّدي في قوله تعالى: "قلْ الحَمْدُ للهِ وسَلاَمٌ علَىَ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىَ"(٥٢): "هُمْ أصحابُ محمد ﷺ اصطفاهم الله تعالى لنبيه"(٥٣).

وقال الخطيب البغدادي: "إنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(٥٤).

---

(٥٠) المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة 178/12، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، ط الأولى 1409هـ، والمعجم الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني 85/22، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط الثانية 1404هـ_1983م، والحديث إسناده حسن، حسنه ابن حجر في الفتح 5/7.

(٥١) انظر: تدريب الراوى 214/2، وإرشاد الفحول ص105.

(٥٢) سورة النمل، آية 59.

(٥٣) انظر: تفسير الطبري 3/20، ط دار المعرفة، وتفسيرابن كثير 369/3، مكتبة دار التراث بالقاهرة.

(٥٤) الكفاية ص 96.

وقال ابن الصلاح: "للصحابة بأسرهم خصيصة، وهى أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدَّلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يُعتد به في الإجماع من الأمة"(٥٥).

وقال العراقي: "إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم، وذلك حين مقتل عثمان ﷺ، فأجمع من يُعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد"(٥٦).

وقال الغزالي: "والذي عليه سلف الأمة، وجماهير الخلق، أن عدالتهم معلومة بتعديل الله ﷻ إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل، ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ثم قال: فأي تعديل أصح من تعديل علام الغيوب وتعديل رسوله ﷺ كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم فى: الهجرة، والجهاد، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأهل، فى موالاة رسول الله ﷺ، ونصرته، كفاية فى القطع بعدالتهم"(٥٧).

وقال الجوينى: "ولعل السبب فى قبولهم من غير بحث عن أحوالهم، والسبب الذى أتاح الله الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف فى رواياتهم؛ لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ، ولما استرسلت على سائر الأعصار"(٥٨).

وقال القرطبي: :الصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرَّق بين حالهم في بُداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك،

(٥٥) علوم الحديث ابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ص176، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1416هـ-1995م.

(٥٦) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي 13/3_14، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥٧) المستصفى من علم الأصول، الغزالي 164/1، المطبعة الأميرية بمصر 1322هـ.

(٥٨) انظر: إرشاد الفحول ص106.

ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث. وهذا مردود"[٥٩].

وقال النووي: "وفضيلة الصحبة لرسول الله ولو لحظة لا يوازيها عمل و لا تُنال درجتها بشيء والفضائل لا تؤخذ بالقياس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[٦٠].

وقال الصنعاني: "ولا يحتاج أحد منهم أي الصحابة مع تعديل الله تعالى له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله شيء مما ذكرنا في عدالتهم من الأدلة؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من: الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أعدل من جميع المخالفين بعدهم الذين يجيئون من بعدهم، وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله"[٦١].

وقال ابن كثير: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل"[٦٢].

فتلك الأقوال تدل على الإجماع من أولئك الأئمة وغيرهم، على ثبوت عدالة الصحابة عموماً بلا استثناء، ببيان واضح، ودليل قاطع. وهو أمر مفروغ منه، ومسلم به عندهم، وعليه فلا يجوز أن يبقى لأحد شك أو ارتياب بعد تعديل الله ﷻ ورسوله ﷺ وإجماع الأمة على ذلك.

المبحث الثالث: شبهات حول عدالة الصحابة، ثم الرد عليها.

إن لأهل الزيغ والإلحاد قديماً وحديثاً شبهات كثيرة، يطعنون بها في عدالة الصحابة، وأساس تلك الشبهات الشيعة الرافضة، الذين فاقوا اليهود والنصارى فى

(٥٩) الجامع لأحكام القرآن 299/16.

(٦٠) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة هبة الله بن الحسن اللالكائي 160/1.

(٦١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار محمد بن إسماعيل المعروف بالأمير الصنعاني 245/2، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1417هـ_1997م.

(٦٢) اختصار علوم الحديث ص123.

خصلتين، كما قال الشعبي فيما رواه عنه ابن الجوزي في الموضوعات قال: "... فضلت الرافضة على اليهود والنصارى بخصلتين، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى فقالوا: أصحاب عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري محمد، وأمروا بالإستغفار لهم فسبوهم"(٦٣)، وفيما يلي بعض تلك الشبه ثم الرد عليها.

المطلب الأول: الشبهة الأولى.

طعن الشيعة في الصحابة ﷺ بأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، حيث انفضوا إلى اللهو والتجارة، ورغبوا عن الصلاة التي هي عماد الدين(٦٤)، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (سورة الجمعة/11)، وقالوا: نزلت في أكثر الصحابة الذين انفضوا عن رسول الله ﷺ إلى العير التي جاءت من الشام، وتركوه وحده في خطبة الجمعة، وتوجهوا إلى اللهو، واشتغلوا بالتجارة، وذلك دليل على عدم الديانة(٦٥).

الرد على تلك الشبهة:

١ -إن انفضاض بعض الصحابة الكرام عن النبي ﷺ إلى العير القادمة من الشام، وتركهم خطبة الجمعة، إنما وقع ذلك في بدء زمن الهجرة، ولم يكونوا إذ ذاك واقفين على الآداب الشرعية كما ينبغي، كما أن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر كانوا قائمين عنده، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة(٦٦).

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عير المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم إلا اثني عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر ﷺ ونزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(٦٧).

(٦٣) الموضوعات، ابن الجوزي 339/1.

(٦٤) انظر: روح المعاني 157/15.

(٦٥) انظر: أضواء على السنة لمحمود أبو رية ص 359، دار المعارف بمصر، ط الثالثة.

(٦٦) انظر: روح المعاني 157/15.

(٦٧) صحيح البخاري- كتاب التفسير-باب تفسير "وإذا رأوا تجارة أو لهواً " 511/2ح4899. وصحيح مسلم- كتاب الجمعة- باب قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" 590/2ح863.

٢ -إن الانفضاض كان وقت الخطبة وليس وقت الصلاة، لمَّا كان النبي ﷺ يقدم الصلاة على الخطبة يوم الجمعة، وذلك واضح في سياق حديث جابر ﷺ السابق، ورجح ذلك ابن حجر تحسينا للظن بالصحابة وأنهم ظنوا أنه لا شيء في ترك الجمعة، وعلى تقدير أن الانفضاض كان وقت الصلاة فإن ذلك كان قبل النهي، فلما نزلت الآية فهم الصحابة الكرام الذم في ذلك فاجتنبوه، وقدم بعدها النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة[٦٨].

٣ -كان قد أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فخاف أولئك المنفضون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يقتات به لو لم ينفضوا، ولذا لم يتوعد الله تعالى على ذلك بالنار أو نحوها بل قصارى ما في ذلك أن عاتبهم ووعظهم ونصحهم.

فلا يصح الطعن فيهم لمجرد تلك الحادثة، التي وقعت من بعضهم في أوائل أمرهم، وتبعها عبادات لا تحصى منهم، وإلا فإنه سفه ظاهر، وجهل وافر[٦٩].

المطلب الثاني: الشبهة الثانية.

زعموا بأن المدينة كانت مليئة بالمنافقين من الصحابة، واستدلوا على زعمهم هذا بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة التوبة/101).

وبأن النبي ﷺ أطلق لفظ الصحبة على المنافقين: بقوله ﷻ: "... ألا وإنه سَيُجَاءُ برجالٍ من أمتي فيؤخذُ بهمْ ذات الشمال، فأقول: "يا ربِّ أُصيحَابي"، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المائدة/117)، فيقال: إن أولئك لا يَزَالوا مُرْتَدِّينَ على أعقابهم منذ فَارَقْتَهُم"[٧٠][٧١].

الرد على تلك الشبهة:

(٦٨) انظر: فتح البارى 493/2. ورجحه النووي أيضاً في المنهاج شرح مسلم 378/3.

(٦٩) انظر: روح المعانى للألوسى 157/15.

(٧٠) صحيح البخارى-كتاب التفسير- باب قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ من حديث ابن عباس 8/135 .ﷺ رقم 4625، وصحيح مسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 2194/4ح2860.

(٧١) انظر: أضواء على السنة ص 354_359.

١ -إن المنافقين كانوا معروفين في مجتمع الصحابة، فهم فئة قليلة معلومة وليست الأكثرية، ولا يخفى أمرهم على أحد بعد ذكر الله تعالى أوصافهم في سورة التوبة. والدليل على قلتهم ما رواه حذيفة بن اليمان ﷺ صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين قال: قال النبي ﷺ: "في أمتي وفى رواية: في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانيةٌ لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِياط. ثَمانيةٌ منهم تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ من النارِ، يظهرُ في أكتافِهم حتى يَنْجُمَ من صُدُورِهِم"(٧٢).

٢ -إن إطلاق لفظ الصحابة على المنافقين سواء أكان في الآية القرآنية التي استدلوا بها أم في الحديث يعتبر إطلاقا لغوياً وليس اصطلاحياً وهو نظير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ (سورة الأعراف/184)، وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (سورة النجم/2)، فإضافة صحبة النبي ﷺ إلى المشركين والكافرين إنما هي صحبة الزمان والمكان لا صحبة الإيمان، وذلك كقوله تعالى في حق سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف/39).

ثم كيف يكون المنافقون من الصحابة بالمعنى الاصطلاحي، وقد نفاه الله عنهم بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (سورة التوبة/56).

٣ -ثم إن المراد بمن يُطرد عن الحوض في الحديث، مطلق المؤمنين بالنبي ﷺ المتبعين لشريعته، وهذا كما يقال لمقلدي أبى حنيفة: أصحاب أبى حنيفة، ولمقلدي الشافعي أصحاب الشافعي وهكذا، وإن لم تكن هناك رؤية واجتماع. وكذا يقول الرجلُ للماضين الموافقين له في المذهب: "أصحابنا"، مع أن بينه وبينهم عدة قرون.

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة.

قالوا: وردت بعض الروايات التي تدل على عدم أفضلية الصحابة على غيرهم من الأمة(٧٣)، منها ما رواه أبو جمعة ﷺ قال: "تَغَدَّيْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ ومَعَنا أبو عبيدةَ بن

(٧٢) صحيح مسلم- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم- باب صفات المنافقين 2141/4ح2775.

(٧٣) انظر ذلك مفصلاً: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر 245/20_ 252، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد بكري، وزارة عموم الأوقاف بالمغرب.

الجَرَّاح ﷺ قال: فقال: يا رسولَ الله ﷺ، هلْ أحدٌ خَيْرٌ مِنَّا، أسْلَمْنَا مَعَك وجَاهَدْنا مَعَك؟ قال: "نَعَمْ، قومٌ يكونونَ مِنْ بعدكمْ يؤمنونَ بي ولمْ يَرونِي"(٧٤).

وما رواه أبو ثعلبة الخُشَنِي ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ مِنْ ورائِكمْ أياماً الصَّبْرُ، الصَّبْرُ فِيهنَّ مِثْلَ القَبْضِ علَى الجَمْرِ، للعامِلِ فيهنَّ مِثْلَ أجْرِ خَمْسينَ رجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، أجْرُ خَمْسينَ مِنَّا أوْ مِنْهمْ؟ قال: بَلْ أجْرُ خَمْسينَ مِنْكمْ"(٧٥).

الرد على تلك الشبهة:

قد جمع ابن حجر بين هذين الحديثين والأحاديث الواردة في أفضلية الصحابة وعدالتهم جميعاً من عدة وجوه، أهمها:

١ - حديث "للعامل فيهن..."، إسناده ضعيف، لا يقوى على المعارضة، ثم إنه لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة، لأن مجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال لا يستلزم ثبوت الأفضلية مطلقاً.

٢ - ثم إن الأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي وهم الصحابة الكرام من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد.

٣ - إن الرواة لم يتفقوا على لفظ حديث أبي جمعة، فقد روي بلفظ: "هل من قوم أعظم منا أجراً؟"، وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية الأخرى، وهذا اللفظ لا يدل على الأفضلية المطلقة وإنما على عظم الأجر في بعض الأعمال أكثر من غيرها.

٤ - إن مقتضى هذا القول أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وليس على الإطلاق في جميع الصحابة(٧٦).

---

(٧٤) مسند أحمد 106/4ح17017. وسنن الدارمي- كتاب الرقاق- باب في فضل آخر هذه الأمة 192/2ح2744، تحقيق: سيد إبراهيم وعلي محمد علي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_2000م. والحديث إسناده صحيح.

(٧٥) سنن أبي داود-كتاب الملاحم-باب الأمر والنهي 1855/4ح4341، تحقيق: السيد محمد سيد وعبد القادر عبد الخير وسيد إبراهيم، دار الحديث، ط 1420هـ_1999م، وسنن الترمذي-كتاب تفسير القرآن- باب (18) 102/5ح3058، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1419هـ_1999م، والحديث إسناده ضعيف، فيه عتبة بن أبي الحكم وهو صدوق يخطي كثيراً. وفيه عمرو بن جارية اللخمي وأبو أمية الشعباني مجهولان.

(٧٦) انظر: فتح الباري 9/7.

المطلب الرابع: الشبهة الرابعة.

قالوا: بأن الصحابة فروا من القتال في غزوتي أحد وحنين، ومعلوم أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر(٧٧).

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ (سورة آل عمران/ 155)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (سورة التوبة/25).

الرد على تلك الشبهة:

فالرد على هاتين الشبهتين الواهيتين كبيت العنكبوت بل أوهن، من القرآن الكريم.

١ -ففي عتاب الفرار يوم أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾، ثم ختم العتاب بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران/155).

فهل بقي حجة يحتج بها، لذي خبيئة سيئة، بعد عفو الله تعالى عن الصحابة الكرام؟ ولا تعيير بعد عفو الله تعالى عن الجميع(٧٨).

٢ -وفي عتاب الفرار يوم حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ثم امتن الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة/26).

فهل تنزل السكينة والطمأنينة إلا على قوم مؤمنين صادقي الإيمان ليزدادوا بها إيماناً مع إيمانهم؟ فقد بين الله تعالى في موضعين آخرين أن سكينته إنما تتنزل على عباده الصادقين وأوليائه المقربين، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

(٧٧) مختصر التحفة الإثنى عشرية شاه عبد العزيز الإمام ولي الله الدهلوي ص273، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد بالرياض 1404هـ.

(٧٨) روح المعاني للألوسي 99/4.

حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح/4)، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (سورة الفتح/26).

المطلب الخامس: الشبهة الخامسة.

قالوا: "أن الصحابة تقاتلوا في معركتي صفين والجمل، واستحلوا بذلك دماء بعضهم، فوقعوا في الكفر" [٧٩]، واستدلوا بقوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[٨٠].

الرد على تلك الشبهة:

١ - إن هذه الشبهة من أخطر الشبه، التي احتج بها الرافضة ودعاة العلمانية، الذين اتخذوا من تلك الفتن مادة دسمة، طعنوا بها في عدالة الصحابة، وفتنوا بذلك عوام المسلمين ممن لا علم له، فالمراد من قوله: "لا ترجعوا بعدى كفاراً"، المبالغة في النهي والتحذير من قتال المؤمن؛ لينزجر السامع عن الإقدام عليه، وقيل: النهي على سبيل التشبيه؛ لأن ذلك فعل الكافر، والمعنى: لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً، وقيل: القتل يفضي إلى الكفر، فإن من اعتاد الوقوع في الصغائر؛ جره ذلك إلى الكبائر؛ ومن اعتاد فعل الكبائر جره ذلك إلى أشد منها، وقيل: المعنى كفاراً بحرمة الدماء وحرمة المسلمين وحقوق الدين، أو كفاراً بنعمة الله تعالى، وقيل: اللفظ على ظاهره للمستحل قتال أخيه المسلم، وقيل: غير ذلك[٨١].

٢ - إن ما حدث بين الصحابة ﷺ من قتال لم يكن عن استحلال له، حتى يُحمل الحديث على ظاهره، ولذلك فإن القرآن الكريم أثبت الإيمان للمتقاتلين بلا استحلال للدماء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات/9-10).

---

(٧٩) انظر: أضواء على السنة ص 360_362.

(٨٠) صحيح البخارى-كتاب الديات-باب قول الله تعالى: "ومن أحياها"، من حديث ابن عمر 3/325 □.ح6868.

(٨١) انظر: فتح البارى 201/12.

كما أثبته النبي ﷺ بقوله: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[٨٢]، فقد أثبت الإيمان أو الإسلام للفئتين المتقاتلتين.

ولذلك ترجم الإمام البخاري في صحيحه ببابين يدلان على عدم تكفير المتقاتلين على الإطلاق[٨٣].

(٨٢) صحيح البخارى-كتاب الصلح-باب قول النبى ﷺ للحسن بن على ﷺ"إن ابنى هذا سيد ... الحديث"، وقوله جل ذكره: "فأصلحوا بينهما" 599/1ح2704.

(٨٣) صحيح البخارى- كتاب الإيمان- باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقوله ﷺ لأبى ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، وقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وباب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ فسماهم مؤمنين 18/1.

الخاتمة:

يمكن لنا أن نستخلص مما تقدم في مباحث ومطالب هذا البحث عدةَ نتائج، أهمها فيما يلي:-

١ - إن عدالة الصحابة الكرام جميعاً أمر مجمع عليه بين علماء أهل السنة، والنقول في ذلك الإجماع كثيرة عن علماء الأمة من: المحدثين والفقهاء والأصوليين، سواء أكان من لابس الفتن منهم، أم من لم يلابس، فيُحمل ذلك منهم على حسن الظن بهم، إذ اجتهدوا فيما ذهبوا إليه، فهم بين مأجور ومأجور، والمخالف لهذه القضية محجوج بالآيات المستفيضة الصريحة، والأحاديث المشهورة الصحيحة، والتي تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى قد رفع أقدارهم، فلا يحط من قدرهم إلا من كانت له خبيئة سوء.

٢ - ثبت في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الشهادات العالية، ما يرفع مقام الصحابة ﷺ إلى الذروة، بحيث لا يترك لطاعن فيهم دليلاً، ولا شبهة دليل. والعقل السوي المجرد من الهوى والتعصب، يُحيل على الله تعالى في حكمته ورحمته، أن يختار لحمل شريعته الخاتمة لما قبلها من الشرائع، أمةً مغموزة، أو طائفةً ملموزة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣ - ليس المراد بعدالة الصحابة: أنهم قد عُصموا من الوقوع في الزلل، فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم، بل المراد أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى والمروءة، وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

٤ - إن المنافقين الذين فضحهم الله ورسوله، وكُشف سترُهم، ووقف المسلمون على حقيقة أمرهم، والمرتدين الذين ارتدوا في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الإسلام، وماتوا على ردتهم، هم بمعزل من شرف الصحبة، وعليه فلا يشملهم وصف العدالة.

٥ - إن شبهات أعداء السنة المطهرة ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا حول صحابة النبي ﷺ، قائمة على إعلان الكفر صراحة، وهم فيما يزعمون من شبهات، يتسترون بعباءة القرآن الكريم، وما استشهدوا به من أحاديث للطعن في الصحابة ﷺ إما أحاديث مكذوبة وضعيفة، وإما صحيحة مع ضعف دلالتها على ما احتجوا به، فإنهم يلوون أعناق النصوص بما يتوافق مع خبيئتهم السيئة.

٦ - إن الطعن فيهم والتجريح بهم، يقوض دعائم الشريعة، ويشكك في صحة القرآن، ويضيع الثقة بسنة سيد الأنام ﷺ، فضلاً عن أنه تجريح وقدح فيمن بوأهم تلك المكانة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

٧ - إن التعريف الصحيح المعتمد للصحابي، هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ثم مات على الإسلام، ولو تخللت ذلك ردة.

"رضي الله تعالى عن الصحابة جميعاً، وجعلنا الله من محبيهم".

وجمعنا بهم في جنته ودار كرامته. آمين

المراجع:

- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ – 1985م.
- اختصار علوم الحديث، أبوالفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1409هـ_1989م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق على معوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ – 1994م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني دار السعادة بمصر 1328هـ.
- أضواء على السنة، محمود أبو رية، دار المعارف بمصر، ط الثالثة.
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، مكتبة دار التراث بالقاهرة.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد بكري، وزارة عموم الأوقاف بالمغرب.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل المعروف بالأمير الصنعاني، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1417هـ_1997م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد الطبري، ط الرابعة 1400هـ_1990، دار المعرفة بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط الثانية 1372هـ_1952، صححه أحمد البردوني.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1419هـ_1998م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق السيد محمد سيد وعبد القادر عبد الخير وسيد إبراهيم، دار الحديث، ط 1420هـ_1999م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1419هـ_1999م.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق سيد إبراهيم وعلي محمد علي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_2000م.
- السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط1400هـ.
- شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، دار الكتب العلمية بيروت.
- شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد تامر، دار الفجر للتراث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_1999م.
- الصارم المسلول، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد العطار، مصر، ط الثانية 1402هـ – 1982م.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط الأولى 1423هـ_2003م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار الفكر بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي، دار ابن حزم بيروت، ط الأولى 1423هـ_2002م.
- علوم الحديث، ابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1416هـ-1995م.
(ومنهاج السنة وفضائل الصحابة لأحمد
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء بالمنصورة، ط الثالثة 1426هـ_2005م.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، أبو تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمود ربيع، مكتبة السنة بالقاهرة، ط الثانية 1408هـ- 1988م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية، ط الثالثة 1301هـ، تصوير الهيئة المصرية العامة للكتاب 1397هـ-1977م.
- الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن على الشهير بالخطيب البغدادي، تحقيق محمد الحافظ التيجاني، وعبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، دار ابن تيمية.
- لسان العرب، محمد بن كرم ابن منظور، دار الحديث بالقاهرة، ط 1423هـ_2003م، تصحيح ومراجعة مجموعة من الأساتذة.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبد الحق الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد، - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1421هـ_2000م.
- مختصر التحفة الإثنى عشرية، شاه عبد العزيز الإمام ولي الله الدهلوي، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد بالرياض 1404هـ.
- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الاحديث بالقاهرة، ط 1426هـ_2005م، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1413هـ_1993م.
- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية 1407هـ_1996م.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقريء، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1421هـ_2000م، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1422هـ_2001م.
- المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، ط الأولى 1409هـ.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط الثانية 1404هـ_1983م.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، تحقيق إسحاق عزوز، مكتبة منارة العلماء بالقاهرة، 1409هـ-1989م.

الفهرس:

ملخص البحث: 478
ABSTRACT 478
المقدمة: 480
المبحث الأول: تعريف عدالة الصحابة. 482
المطلب الأول: تعريف العدالة. 482
المطلب الثاني: تعريف الصحابة. 483
المبحث الثاني: عدالة الصحابة في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة. 486
المطلب الأول: عدالة الصحابة الكرام في القرآن الكريم. 486
المطلب الثاني: عدالة الصحابة الكرام في السنة. 491
المطلب الثالث: أقوال علماء الأمة. 494
المبحث الثالث: شبهات حول عدالة الصحابة، ثم الرد عليها. 496
المطلب الأول: الشبهة الأولى. 497
المطلب الثاني: الشبهة الثانية. 498
المطلب الثالث: الشبهة الثالثة. 499
المطلب الرابع: الشبهة الرابعة. 501
المطلب الخامس: الشبهة الخامسة. 502
الخاتمة: 504